عبد الحميد بن باديس ودوره الديني والسياسي في الجزائر ١٨٨٩ – ١٩٤٠

م.م. غيلان سمير طه
جامعة تكريت – كلية التربية

المقدمة

أدت الحركة الدينية الجزائرية دورا مهما في مقارعة الاستعمار الفرنسي وفضح مخططاته ونواياه من خلال بروز عدد من الشخصيات الدينية المهمة وفي مقدمتها الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي عقد العزم لأبقاء الجزائر محافظة على هويتها العربية و الإسلامية .

بدأ الشيخ بن باديس حياته العلمية من خلال التنقل مابين البلدان العربية في مشرقها ومغربها لينهل من علومها ومعارفها الدينية وينقل ماحصل عليه من علوم الى بلده الجزائر التي كانت بحاجة الى شخصيات مشابهة للشيخ عبد الحميد بن باديس للحفاظ على عروبتها وإسلامها بسبب الحملة الشعواء التي تعرضت لها من قبل السلطات الفرنسية لإلحاق الجزائر بفرنسا إداريا وسياسيا واقتصاديا .

ركز الشيخ بن باديس جهوده للحفاظ على الدين الإسلامي في الجزائر وتطهيره من الشوائب التي علقت فيه ، والمحافظة على اللغة العربية التي طالما حاولت السلطات الفرنسية طمسها من خلال فرنسة المجتمع الجزائري وفرض اللغة الفرنسية في دوائر الجزائر الرسمية .

رأى الشيخ بن باديس ان تحقيق الأهداف والحفاظ على الهوية الإسلامية للجزائر يتطلب تأسيس تجمع إسلامي يضم علماء الدين في البلاد ، وقد نجحت تلك الجهود بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عام ١٩٣١ والتي تبنت منذ انطلاقتها موقفا صلبا ضد سياسة أندماج الجزائر مع فرنسا .

وانتقد الشيخ بن باديس بصورة علنية دعاة اندماج الجزائر بفرنسا لأن ذلك الفعل يعني الغاء الوجود العربي والإسلامي للجزائر ومحو هويتها بصورة نهائية مما يؤدي لأن تكون الجزائر كأي مستعمرة من المستعمرات التابعة لفرنسا.

وجد بن باديس بأنه لايوجد أي ضير في مشاركة رجال الدين في العمل السياسي ، وقد نشط العلماء المسلمون الجزائريون في جولاتهم في مناطق الجزائر المختلفة لتنبيه المواطنين بمخاطر السياسة الاستعمارية التي تتبعها فرنسا في بلادهم ، فضلا عن المدارس الخاصة التي تم تأسيسها من قبل أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي لم تقتصر على المسائل الدينية فحسب ، بل كانوا يعلمون اللغة العربية والتأريخ .

وقد استمر الشيخ بن باديس في ممارسة دوره الديني والسياسي بكل نشاط إلى أن ادركته المنية في عام ١٩٤٠ ، إلا ان أفكاره لم تنتهي بعد وفاته ، وإنما بقيت راسخة في أذهان الشعب الجزائري وكل مريديه ومحبيه .

تم تقسيم البحث الى مقدمة وثلاثة عناوين رئيسية ، وخاتمة لخصت الاستنتاجات التي توصل اليها البحث ، وتضمن الأول نبذة عن بدايات الشيخ بن باديس ودوره الديني من خلال تنقله مابين البلدان العربية لأتمام دراسته الدينية ، بينما تضمن الثاني دور بن باديس في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عام ١٩٣١ ، والدور المهم لهذه الجمعية في مقارعة الاستعمار الفرنسي واهتمامها بالحفاظ على الطابع الإسلامي للجزائر ، اما الثالث فقد تضمن توضيح الدور الديني والسياسي للشيخ عبد الحميد بن باديس والذي نشط بصورة واضحة من خلال اهتمامه بتكثيف العمل السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والوقوف بصورة صلبة ضد المخططات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ، وقد استمر هذا النشاط لغاية وفاة بن باديس في عام ١٩٤٠ .

أولاً": نبذة عن بدايات الشيخ عبد الحميد بن باديس

ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس في ولاية قسنطينة الواقعة بشمال شرق الجزائر عام ١٨٨٩ من اسرة تنتمي للزيريين ، وتلقى تعليمه في قسنطينة ، ثم انتقل الى تونس لأستكمال تلقي العلم في جامع الزيتونة ، وعاد الى قسنطينة ليقوم بمهمة التدريس في الجامع الأخضر ، وفي عام ١٩١٤ زار عدد من مدن المشرق العربي الكبرى (١) .

عاد الشيخ بن باديس الى الجزائر لمدة قصيرة ثم اتجه إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج في عام ١٩١٤ ، وبعد عودته للجزائر تولى مهمة التدريس الديني وكانت دروسه تبدأ بعد صلاة الفجر إلى مابعد صلاة العشاء ، ولاينقطع عن التدريس إلا لراحة قصيرة ، إذ كان يدرس الأطفال الذين لم يجدوا مكانا في المدارس الفرنسية صباحا ، ويدرس طلبة المدارس الفرنسية عصرا بعد خروجهم من مدارسهم ، ولم يكتف بالتدريس في الجامع الأخضر بل كان يقوم بجولات في انحاء الجزائر المختلفة خلال العطلة الصيفية (٢) .

اصدر الشيخ بن باديس جريدة " المنتقد " كتجربة وطنية مستقلة تعمل لخير الشعب الجزائري ، وكان شعار الجريدة ((الحقيقة فوق كل شئ)) . وشن من خلال الجريدة حملة عنيفة تحمل عنوان ((المحافظة على القومية الجزائرية)) ، وبعد صدور ثمانية عشر عدد من الجريدة أغلقت من قبل السلطات الفرنسية (٣) .

حاول الشيخ بن باديس في عام ١٩٢٤ تأسيس جمعية تحمل اسم الإخاء العلمي ، وقد شاركه في هذه الفكرة البشير الأبراهيمي (٤) الذي أيده وأعد القانون الأساسي للجمعية ، إلا إن الظروف التي كانت تمر بها البلاد وعدم الاستعداد التام من قبل جميع علماء الدين الجزائريين للتقارب والاجتماع

ادت إلى تأجيل تأسيس الجمعية ، ولكن استمرار الجهود في إنشائها انتشر بين أبناء الشعب الجزائري في المنتديات الأدبية والمجالس الاجتماعية (٥) .

وكبديل عن جريدة " المنتقد " التي كان يصدرها ابن باديس والتي توقفت عن الصدور بأيعاز من السلطات الفرنسية ، اصدر الشيخ عبد الحميد بن باديس مجلة الشهاب التي كانت اداة فعالة في نشر أفكار وتعاليم دينية نادى بها الشيخ والمؤيدين له (٦) ، وقد لقيت المجلة منذ عام ١٩٢٥ نجاحا وانتشارا واسعا في كل انحاء بلاد المغرب العربي وذلك بسبب توجهاتها الإسلامية الواضحة(٧) .

ومن الملاحظ بأن الشيخ بن باديس كان قد أولى مجال الصحافة اهتماما كبيرا" ، وقد تولد ذلك من قناعته بالدور المهم للجرائد والمجلات في توعية الناس وايصال ماكان يريده من علوم ومعارف دينية إلى أذهانهم من خلالها ، فضلا عن توعيتهم وإرشادهم للابتعاد عن الأمور السلبية .

وقف الشيخ بن باديس ضد سياسة الاندماج مع فرنسا ، وكان يرى بأن معركة التحرير هي معركة الإسلام ونشر اللغة العربية وهي معركة التميز الثقافي والحضاري عن ثقافة وحضارة فرنسا ، ومن أجل ذلك خاض الشيخ بن باديس مناظراته الفكرية دفاعا عن الإسلام ، فدخل في حوار مع المستوطن الفرنسي (أشيل) الذي تهجم على الإسلام ورسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ، إذ حاول الاستعمار الفرنسي على الدوام بث أفكارا" مغلوطة عن الإسلام بهدف تشكيك المسلمين في دينهم وصرفهم عنه (٨) .

وعلى الرغم من الظروف القاسية التي عاشها شعب الجزائر آنذاك فأن ذلك لم يمنع الشيخ بن باديس من الاهتمام بالقضية الفلسطينية والتنبيه المبكر للخطر الصهيوني ، ولم يكن هذا الاهتمام إلا تأكيدا" لوحدة المصير الإسلامي في كل مكان ، والتأكيد في الوقت ذاته بأن الجزائر مسلمة ، وما زالت جزء من الإسلام (٩).

دعا الشيخ بن باديس في عام ١٩٢٧ الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي لندوة يتدارسون فيها اوضاع الجزائر وما يمكن عمله لإصلاح تلك الأوضاع ، واتفقوا في نهاية الندوة على خطة عمل تقضي بإنشاء مدارس حرة للتعليم العربي والتربية الإسلامية والعمل على نشر الدعوة الإصلاحية في المساجد ، واستخدام الصحافة والنوادي ، وإنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب ، وكان هدفهم من ذلك اذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية والخنوع للاستعمار الفرنسي (١٠) .

القى الشيخ عبد الحميد بن باديس في عام ١٩٢٧ محاضرة بعنوان ((الاجتماع والنوادي عند العرب)) في نادي الترقي وهو نادي ثقافي تم انشائه في الجزائر ،وكان مقرا" لعدد كبير من العلماء المسلمين الجزائريين (١١) .

تبنى الوطنيون المسلمون الجزائريون ، وفي مقدمتهم الشيخ بن باديس مبدأ المحافظة على استمرار قيام الشعائر الإسلامية ، وذلك بسبب أن السلطات الفرنسية كانت تشرف إشرافا" مباشرا" على الشؤون الدينية ، إذ كان نصيب اليهود في النفقات المخصصة للشؤون الدينية يربوا على مثيلتها عند المسلمين ، أما الكاثوليك فقد كانت النفقات المخصصة لهم تساوي ستة امثال مخصصات المسلمين (١٢) ، فرأى رجال الدين المسلمون إن من الواجب عليهم أن يتكاتفوا في تجمع ديني للحفاظ على الدين الإسلامي وتحقيق المطالب العادلة للشعب الجزائري .

ثانيا : دور الشيخ عبد الحميد بن باديس في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٩٣١

عقد العلماء المسلمون الجزائريون اجتماعهم في الخامس من ايار ١٩٣١ وأعلنوا تأسيس " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " ، وتم انتخاب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا للجمعية تبعا لنظام الجمعيات المبينة أحكامه في القانون الفرنسي ، وانتخب البشير الابراهيمي نائبا لرئيس الجمعية ، وتم عقد الاجتماع الأول للجمعية والذي أقر فيه القانون الأساسي لها ، وقد علق البشير الأبراهيمي على ذلك القانون قائلا : ((أعلنا تأسيس الجمعية في شهر مايو بعد أن أحضرنا لها قانونا أساسيا مختصرا من وصفي ، أدرته على قواعد من العلم والدين لاتثير شكا ولا تخفيف)) (١٣) .

ضمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (مائة وعشرون) عالما من علماء الجزائر الذين أشتهروا باستقامتهم و إخلاصهم لعقيدتهم الإسلامية و لبلادهم ،ورفضت الجمعية منذ اليوم الأول لتأسيسها الاندماج مع فرنسا (١٤) ، وقد تبنت الأهداف الأتية :

إحياء الدين الإسلامي وتطهيره من الشوائب التي علقت به .

العمل من أجل بعث وتطوير الثقافة العربية الإسلامية .

السعي لتوحيد ابناء الشعب الجزائري تحت راية العروبة و الإسلام .

توعية الشباب الجزائري بالشخصية الجزائرية .

إقامة جسور للتعاون بين الجزائر والدول العربية والإسلامية .

الدعوة إلى توحيد العمل المشترك مع ابناء تونس والمغرب .

نشر تعليم عربي مستوحى من الوحدة العربية الإسلامية (١٥) .

إن أبرز مايمكن ملاحظته من أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو التركيز على عروبة الجزائر وإسلامها ورفض الاندماج وهي ذاتها قناعة الشيخ عبد الحميد بن باديس منذ أن بدأ بمهمة التدريس،ولذلك سعى من خلال الجمعية إلى التعاون مع العلماء لتحقيق تلك الأهداف .

صدر عدد من الجرائد التي تحمل مبادئ الجمعية ومن اهمها " المرصاد " والتي أعلنت في افتتاحيتها اعتناق مبادئ جمعية العلماء المسلمين ، وجريدة " الجحيم " التي كانت بإشراف عدد من الشباب ، وقد اتسمت بالعنف والبذاءة وقسوة الهجوم ولم يصدر منها سوى سبعة أعداد قبل توقفها عن

الصدور ، وظهرت جريدة " الليالي " وهي أسبوعية ، وكانت موضوعاتها الرئيسية انتقاد الأوضاع الأجتماعية في داخل الجزائر [١٦] .

اهتم الشيخ بن باديس واعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بانشاء المدارس في كافة انحاء الجزائر ، إذ بلغ عددها في قسنطينة فقط (مائة وثلاثون) مدرسة ، تم تسميتها ب " المدارس القرآنية "وذلك للتهرب من مراقبة الأدارة الفرنسية ، وكانت مدارسهم تختلف عن المدارس القرآنية التقليدية (الكتاتيب) ، فقد كانوا بالإضافة الى تعليم القرآن الكريم يعلمون اللغة العربية على أسس حديثة ، فضلا عن تأريخ الجزائر ومواد أخرى ، وعلموا الصبيان والبنات أغاني جزائرية معادية للسيطرة الاستعمارية الفرنسية [١٧] .

كان العلماء المسلمين الجزائريين يركزون على ترسيخ مفهوم الشخصية الجزائرية العربية والإسلامية ، فقد رد الشيخ بن باديس على تصريح فرحات عباس [١٨] ، وهو أحد دعاة الاندماج مع فرنسا عندما أنكر وجود الأمة الجزائرية ((لقد بحثنا في التأريخ وفي الحاضر ورأينا أن الأمة الجزائرية المسلمة قد تكونت وهي موجودة مثلما تكونت جميع الأمم على وجه الأرض ، ولهذه الأمة تأريخها الذي تميز بالمآثر ولها وحدتها الدينية اللغوية ، ولها ثقافتها وتقاليدها ومميزاتها الحسنة والسيئة كما هو الحال بالنسبة لكل أمة على وجه الأرض ، ونقول بعد ذلك إن هذه الأمة الجزائرية ليست فرنسا ، ولاسبيل إلى أن تكون فرنسا ، ولو انها أرادت الاندماج،ولها ترابها المضبوط الذي هو الجزائر بحدودها الحالية))[١٩].

وهكذا نلاحظ بأن الشيخ بن باديس كان في طليعة الرافضين لأندماج الجزائر مع فرنسا كونه كان يعد مسألة عروبة وإسلام الجزائر خطا" احمرا" لايمكن المساومة عليه ، وما انشاء المدارس الدينية وتعليم اللغة العربية إلا شاهدا واضحا على حرص بن باديس وجهده المتواصل للحفاظ على عروبة الجزائر وهويتها الإسلامية .

ثالثا : الدور الديني والسياسي للشيخ عبد الحميد بن باديس بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولغاية١٩٤٠

اتجه الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نحو العمل السياسي فضلا عن النشاطات الدينية ، إذ كان يؤكد على انتماء الجزائر إلى أمة ذات ماضي مجيد ، وفي الوقت ذاته ظهرت فكرة استقلال الجزائر بصورة واضحة ، وقد كان دور العلماء المسلمين الجزائريين هو التعبير عن مواضع الهوية الجزائرية المتميزة ، إذ رفعوا شعار ((الإسلام ديني والعروبة لغتي والجزائر موطن آبائي)) [٢٠] .

ولذلك كتب الشيخ بن باديس مقالا" في إحدى الجرائد يتعجب فيه من الذين ينكرون على علماء الدين مشاركتهم في السياسة ، ويوجه الأنظار إلى الأمم الأخرى، ومنها الأمة الفرنسية، التي لم تمنع

العلماء من المشاركة في السياسة ، ولذلك كان يرى بأن الإسلام لا يحجر على علماء الدين التدخل في أي شأن من الشؤون العامة ، بل هم أولى من غيرهم بذلك وهم رعاة الأمة المسؤولون بحسب وجهة نظره [٢١] .

واجهت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضغوطا متعددة بعد أن قام رئيسها بن باديس وأعضائها بجولات عديدة في الجزائر وإلقائهم محاضرات في المساجد وبعض المدارس ، وفي بيوت الشخصيات التي كانت تستدعيهم ، ففي عام ١٩٣٣ أصبح محظورا على اعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأن يتحدثوا في المساجد ، وتم إغلاق بعض المدارس التي كانت تستدعيهم ، كما فرضت السلطات الفرنسية رقابة مشددة على الشخصيات المسؤولة في الجمعية [٢٢].

وبالمقابل كثفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من نشاطاتها السياسية بتوجيه من رئيسها الشيخ بن باديس ، إذ قامت بحركة نشيطة لمقاطعة البضائع اليهودية ، ومحاربة فكرة اعطاء الجنسية الجماعية للجزائريين ، ففي عام ١٩٣٥ نشرت مجلة " الشهاب " مقالا" سياسيا" دعا الى رفض الجنسية الفرنسية للمسلمين في الجزائر والبالغ عددهم آنذاك خمسة ملايين نسمة [٢٣] .

ووقف الشيخ بن باديس موقفا صلبا ضد سياسة التجنس التي انتهجتها فرنسا ، ففي خطاب ألقاه في الجزائر العاصمة بهذا الصدد قال فيه : ((العروبة والإسلام والعلم والفضيلة ، هذه أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي انبعاث حياتنا ، ورمز نهضتنا ، واركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي تفقهنا في الدين وتعلمنا الأمة وتنيرنا بالعلم وتحلينا بالأخلاق الأسلامية العالية وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة)) [٢٤] .

إن المتتبع لنشاطات الشيخ بن باديس يرى جديته الواضحة لتحقيق الأهداف التي سعى الشعب الجزائري لتحقيقها ، ويأتي في مقدمتها الحفاظ على الدين الإسلامي وتنقيته من البدع و الشوائب التي حاول الاستعمار لصقها فيه ، والاهتمام باللغة العربية التي حاولت فرنسا أيضا طمسها لتسهيل مهمتها في دمج الجزائر بفرنسا ، إلا أن الدور الكبير الذي ادته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حال دون ذلك .

تبلورت أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كحركة سياسية ذات نفوذ شعبي في شهر ايلول ١٩٣٥ ، إذ انعقد المؤتمر الخامس للطلبة المسلمين بشمال إفريقيا [٢٥] في مدينة تلمسان ، وتطابقت لوائح الطلبة المسلمين مع مطالب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تمثلت في التضامن بين أقطار المغرب العربي وتعليم اللغة العربية بطرق عصرية ومحاربة الأمية والانحرافات الاجتماعية ، وجاء هذا الالتحام والتفاهم بين الطلبة المسلمين و جمعية العلماء المسلمين بنتيجة ايجابية وهي أن جمعية العلماء المسلمين كانت تحظى بتأييد الشباب الجزائري ، وان خطتها لخلق الوعي واليقظة في الأوساط الجزائرية بدأت تثمر وتحقق الأهدف المنشودة [٢٦] .

وفي أعقاب المؤتمر العام للطلبة المسلمين ، انعقد المؤتمر الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجزائر العاصمة في الخامس عشر من أيلول ١٩٣٥ ، وكان يهدف إلى توحيد جميع الحركات الإسلامية في الجزائر ، وفي أثناء هذا المؤتمر قام قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمراجعة شاملة لأعمال الجمعية منذ مرحلة التفكير بأنشائها ولغاية عام ١٩٣٥ ، وخرجوا بقرارات مهمة تمثلت بتعيين مسؤولين جدد ، والقيام بأعمال سياسية تخدم الوطن [٢٧] .

كان القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد خلا من النص على اشتغال الجمعية بالسياسة ، غير ان ذلك لم يحول بينها وبين العمل السياسي تماشيا مع المفهوم الصحيح بأن الدين الإسلامي لايفصل بين الدين والسياسة ، وكذلك فأن القانون الأساسي كان ملزما بالقانون الفرنسي الخاص بالجمعيات الدينية والذي يمنع هذه الجمعيات من التدخل في السياسة ، ولكن الجمعية أرادت أن تجعل دعوتها واضحة ومفصلة، لذلك قام الشيخ بن باديس بنشر أصول الدعوة للعمل السياسي على اثر صلاة الجمعة في شهر ايار ١٩٣٧ ، ونشر ذلك في كتيب مكمل للقانون الأساسي للجمعية مما يؤكد انه امتداد له ، او شرح وتفصيل للقانون الأساسي [٢٨] .

تضمن الكتيب صورة مختصرة عن البرنامج الديني والسياسي والاقتصادي للجمعية ، فقد جاء في فصله الثاني بآن الإسلام هو دين البشرية الذي لايؤخذ الا به للأسباب التالية :
حرم الظلم بجميع وجوهه .اشرك الفقراء مع الأغنياء في الأموال .حرم الأستعباد والجبروت بجميع وجوهه وجعل الحكم مبنيا على مبدأ الشورى [٢٩] .

يمكن القول ان الذي دفع الجمعية للعمل السياسي فضلا عن ان الدين الإسلامي لايفصل بين الدين والسياسة ، هو الوضع الغير طبيعي الذي كانت تشهده الجزائر وهي ترزح تحت النير الاستعماري الفرنسي ، فرأى الشيخ بن باديس بأن هناك ضرورة ملحة لكي يؤدي رجال الدين دورا سياسيا مهما فضلا عن دورهم الديني وذلك من خلال رفض سياسة الاندماج والفرنسة والحفاظ على عروبة الجزائر .

تأزم الوضع بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والسلطات الفرنسية على اثر رفض فرنسا استقبال وفد من الجمعية لشرح موقفها واحتجاجها على سوء معاملة اعضائها ، إذ رفض وزير الداخلية الفرنسي استقبال الوفد في باريس بناءا" على طلب من الحاكم العام للجزائر [٣٠] .

وقد أدى توتر العلاقة بين الطرفين إلى صدور قرار جديد من قبل رئيس الوزراء الفرنسي شوطان [٣١] منع فيه افتتاح أي مدرسة خاصة دون تصريح ، وتضمن القرار كذلك مراقبة المدارس الخاصة الموجودة [٣٢] .

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) غيرت السلطات الفرنسية من موقفها ، واتصلت برئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس واعضاء الجمعية

للحصول على تأييدهم في الحرب ، وذلك للمكانة المهمة للجمعية والشعبية الواسعة التي تمتلكها في اوساط الشعب الجزائري، وعندما لم تحصل على ماكانت ترغب فيه استخدمت طريقة الاتصالات الفردية بأعضاء الجمعية ، وتمكنت من التأثير على بعض الأشخاص و استمالتهم اليها ، إلا أن العدد الأكبر من أعضاء الجمعية وفي مقدمتهم رئيسها بن باديس رفضوا كل العروض والمساومات ، وامتنعوا عن توجيه برقيات الولاء والتأييد لفرنسا في حربها ضد الألمان ، وفي الوقت ذاته رفضوا توجيه نداء إلى الشعب الجزائري للوقوف بجانب فرنسا ، واتخذت الجمعية بعض الاجراءات الأحترازية جراء هذا الموقف والمتمثلة بتقليل نشاطها الديني والسياسي وفي الوقت ذاته أوقفت صحافتها بمحض إرادتها حتى لاتتعرض للرقابة [٣٣] .

يمكن أن نستنتج بأن فرنسا قد قامت بمحاولة ، ربما كانت تعرف بضعف فرصها بالنجاح ، لأستدراج الشيخ عبد الحميد بن باديس وكسبه إلى صفها ، وان الذي شجعها في ذلك هو استمالة بعض اعضاء الجمعية وتأييدهم لها ابان اندلاع الحرب العالمية الثانية ، إلا إنها لم تتوفق في الحصول على تأييد بن باديس الرافض لسياستها ووجودها الاستعماري .

وفي السادس عشر من شباط ١٩٤٠ توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس فتم اختيار البشير الإبراهيمي رئيسا جديدا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين [٣٤] ، لتبدأ مرحلة جديدة في تأريخ الجزائر الحديث والمعاصر .

الخاتمة

يمكن تلخيص ماتوصل إليه البحث من نتائج إلى مايلي :

وجد الشيخ عبد الحميد بن باديس إن الإسلام في الجزائر كان يمر في مرحلة خطرة ناتجة عن سياسة فرنسية مدروسة هدفت إلى انهاء الدين الإسلامي في البلاد وطمس ارثها الحضاري و وجودها العربي وإلحاقها من كافة الجوانب بفرنسا من خلال سياسة الاندماج، وكان لابد من تكاتف الجهود لإبقاء الإسلام واضح المعالم في الجزائر .

كان التدريس الديني في الجوامع والمدارس ونشر المقالات في الجرائد هي المرحلة الأولى التي تبناها الشيخ بن باديس .

كانت البدايات الأولى لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعود إلى عام ١٩٢٤ عندما حاول الشيخ بن باديس تأسيس جمعية الإخاء العلمي ، ونستنتج من ذلك إن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد جاء من خبرات متراكمة و اهداف راسخة فكر بها الشيخ بن باديس واعضاء الجمعية في مرحلة سابقة .

إن الهدف الأهم الذي سعى الشيخ بن باديس إلى تحقيقه من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست عام ١٩٣١ هو تخليص الدين الإسلامي من الشوائب التي علقت به ، وإحياء وتطوير الثقافة العربية .

ركز الشيخ بن باديس على أهمية الصحافة والتعليم في توعية الناس وارشادهم ، ولذلك اهتم بإصدار الجرائد والمجلات ونشر المقالات بصورة متواصلة .

وجد الشيخ بن باديس بأنه لايوجد هناك مايمنع من أن يمارس رجال الدين العمل السياسي ، وخاصة في المراحل المشابهة للخطر الذي كان يعصف بالجزائر جراء الاستعمار الفرنسي ومحاولاته المعادية لطمس الهوية العربية والإسلامية هناك ، ولذلك كثف من دوره بإلقاء المحاضرات وعقد المناظرات ، وحث أتباعه على ذلك من أجل تحقيق انتشار أوسع لأفكاره وإيصالها بين اكبر عدد من المواطنيين الجزائريين .

عبرت الشخصيات الإسلامية في الجزائر عن رفضها التام للسياسة الفرنسية بصورة واضحة عند اندلاع الحرب العالمية الثانية وفي مقدمتهم الشيخ بن باديس واعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال عدم تأييدهم لفرنسا في تلك الحرب ، ورفضهم توجيه نداء للشعب الجزائري للوقوف بجانب فرنسا .

إن وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس في عام ١٩٤٠ لم تضعف الحركة الإسلامية في الجزائر وإنما استمرت أفكار بن باديس راسخة في المجتمع الجزائري من خلال الدور الذي أداه رجال الدين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فضلا عن دور التجمعات والحركات الإسلامية والسياسية الأخرى .

الهوامش

١- يوسف جميل نعيمة ، محاضرات في التأريخ العربي المعاصر ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، ١٩٩٨ ، ص ٤٩٣ .

٢- مازن صلاح حامد مطبقاني ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ١٣٤٩ – ١٣٥٨ هجري \ ١٩٣١ – ١٩٣٩ ميلادي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ٥٩ – ٦٠ .

٣- يوسف جميل نعيمة ، المصدر السابق ، ص ٤٩٣- ٤٩٤ .

٤- البشير الإبراهيمي : ولد في بجاية عام ١٨٨٩ وعاش في المدينة المنورة وسوريا بين عامي ١٩١٢ – ١٩٢٢ ، ومارس مهنة التعليم في سوريا ، وعاد للجزائر واشترك في تحرير مجلة " الشهاب " ، وأصبح نائبا لرئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام (١٩٣١) ، واستقر في تلمسان لتوجيه الحركة في إقليم وهران . ينظر : المصدر نفسه ، ص ٤٩٤ .

٥- خيرية عبد الصاحب وادي ، الفكر القومي العربي في المغرب العربي نشوئه وتطوره من ١٨٣٠ الى ١٩٦٢ ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٣٦.

٦- يوسف جميل نعيمة ، المصدر السابق ، ص ٤٩٤ .

٧- نازلي معوض احمد ، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ١٣٦- ١٣٧ .

٨- محمد مورو ، بعد ٥٠٠ عام من سقوط الأندلس ١٤٩٢ – ١٩٩٢ م الجزائر تعود لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ، المختار الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٦٩ – ٧٠ .

٩- المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

١٠- مازن صلاح حامد مطبقاني ، المصدر السابق ، ص ٧٠ – ٧١ .

١١- المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

١٢- صلاح العقاد ، الجزائر المعاصرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٨ .

١٣- مازن صلاح حامد مطبقاني ، المصدر السابق ، ص ٧٨ – ٧٩ .

١٤- محمد مورو ، المصدر السابق ، ص ٧١ .

١٥- عمار بوحوش ، التأريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ٢٤٦ .

١٦- مازن صلاح حامد مطبقاني ، المصدر السابق ، ص ١١٥ – ١١٦ .

١٧- يوسف جميل نعيمة ، المصدر السابق ، ص ٤٩٦ .

١٨- فرحات عباس : ولد في ٢٤ تشرين الأول ١٨٩٩ بدوار شلاما في الطاهير القريبة من ولاية جيجل ، أرسله والده إلى المدرسة الفرنسية (الفرانكو – أهلية) وحصل على البكالوريا في عام ١٩٢١ ، والتحق بكلية الصيدلة بالجزائر عام ١٩٢٣ ، وأنتخب في عام ١٩٢٦ رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين وعام ١٩٢٧ رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا ، وكان من دعاة الاندماج مع فرنسا إلا أنه غير موقفه

في وقت لاحق . للمزيد ينظر : بشير بلاح ، تأريخ الجزائر المعاصر من ١٨٣٠ الى ١٩٨٩ ،ج ٢ ، دار المعرفة ، الجزائر ، ٢٠٠٦ ، ص ١٤٨ – ١٦٠ .

١٩- يوسف جميل نعيمة ، المصدر السابق ، ص ٤٩٧ .

٢٠- وليم ب. كواندت ، الثورة والقيادة السياسية الجزائرية ١٩٥٤ – ١٩٦٨ ، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية ، دمشق ، ١٩٨١ ، ص ٥٠ – ٥١ .

٢١- مازن صلاح حامد مطبقاني ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

٢٢- عمار بو حوش ، المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

٢٣- المصدر نفسه ، ص ٢٥٢ .

٢٤- مقتبس من : خيرية عبد الصاحب وادي ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

٢٥- جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا : تأسست في باريس عام (١٩٢٧) بجهود عدد من ابناء المغرب العربي هناك وقد اتخذت الجمعية عدة مواقف من التجنس واللغة والتعليم والمرأة ، وقد عقدت الجمعية ستة مؤتمرات في المدة من عام ١٩٢٨ ولغاية ١٩٣٦في عدد من مدن المغرب العربي . للمزيد ينظر : ابو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣٠ – ١٩٤٥ ، ج٣ ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، جامعة الدول العربية ، ١٩٧٥ ، ص ١١٤ – ١٢١ .

٢٦- عمار بو حوش ، المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .

٢٧- المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .

٢٨- مازن صلاح حامد مطبقاني ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .

٢٩- المصدر نفسه ، ص ٨٨ .

٣٠- عمار بو حوش ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

٣١- شوطان : تولى منصبه رئيسا لوزراء فرنسا أكثر من مرة ممثلا للحزب الأشتراكي المتطرف عام ١٩٣٤ ثم اصبح في عام ١٩٣٧ ممثلا للحزب اليساري الديمقراطي . ينظر : مازن صلاح حامد مطبقاني ، المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

٣٢- المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .

٣٣- محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية ١٨٣٠ – ١٩٥٤ ، الجزائر ، د.ت ، ص ١٨٥ .

٣٤- محمد مورو ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .